

تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم/ ابو السعود (ت 982 هـ)

مصنف و مدقق

{ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } * { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } * { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ }
{ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } * { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } * { لَكُمْ دِينُكُمْ }
وَلِي دِينِ { (1-6)

مكية وآيها ست

{ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى أنه لا يتأتى منهم الإيمان أبداً. زوي أن رهطاً من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنةً ونعبد إلهك سنةً، فقال: " **معاذ الله أن أشرك بالله غيره** " ، فقالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت، فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } أي فيما يُستقبل لأن «لَا» لا تدخل غالباً إلا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع في معنى الحال والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } أي ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة إلهي { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } أي وما كنت قطُّ عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يُعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف تُرجى مني في الإسلام { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } أي وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته وقيل: هاتان الجملتان لنفي العبادة حالاً كما أن الأولين لنفيها استقبالاً وإنما لم يُقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة

بعبادة الأصنام، وهو عليه السلام لم يكن حينئذٍ موسوماً بعبادة الله تعالى وإيثار ما في
أعبد على من لأن المراد هو الوصف كأنه قيل: ما أعبد من المعبود العظيم الشأن
الذي لا يُقادرُ قدرُ عظمته وقيل: إن ما مصدرية أي لا أعبدُه عبادتكم ولا تعبدون
عبادتي وقيل: الأوليان بمعنى الذي والأخريان مصدريتان وقيل: قوله تعالى: { وَلَا أَنَا
عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } تأكيد لقوله تعالى: { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } وقوله تعالى: { وَلَا أَنْتُمْ
عَبِدُونَ مَا أَعْبُدُ } ثانياً تأكيداً لمثله المذكور أولاً وقوله تعالى: { لَكُمْ دِينُكُمْ } تقرير
لقوله تعالى: { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } وقوله تعالى: { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } كما أن
قوله تعالى: { وَلِي دِين } تقرير لقوله تعالى: { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } والمعنى أن
دينكم الذي هو الإشراف مقصود على الحصول لكم لا يتجاوزهُ إلى الحصول لي أيضاً
كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به أمانيتكم الفلرغة فإن ذلك من المحالات وأن ديني الذي
هو التوحيد مقصود على الحصول لي لا يتجاوزهُ إلى الحصول لكم أيضاً لأنكم علقتموه
بالمحال الذي هو عبادتي لأهتكم أو استلامي إيها ولأن ما وعدتموه عين الإشراف،
وحيث كان مبنى قولهم: تعبد ألهتنا سنةً ونعبد إلهك سنةً على شركة الفريقين في كلتا
العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر أفراد حتماً ويجوز أن يكون هذا
تقريباً لقوله تعالى: { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } أي ولي ديني لا دينكم كما هو في قوله
تعالى:

{ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ }

[سورة البقرة الآية 134 و 141] وقيل: المعنى إني نبي مبعوث إليكم لأدعوكم إلى
الحق والنجاة فإذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافاً ولا تدعوني إلى الشرك فتأمل.

عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: " مَنْ قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن
وتباعدت عنه مردةُ الشياطين وبرىء من الشرك وتعافى من الفزع الأكبر ".